

من يغفر لمن؟

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

لم يعد يفصلنا عن موعد انسحاب إسرائيل من أرضنا المحتلة سوى أسابيع، فيما متولو الحكم في بيروت ومعهم طاقم السياسيين النفعي لم يحسموا أمرهم بعد وما زالوا يتخبطون في مواقف متناقضة، وهم مغشى عليهم مرتبكين متخلين عن واجباتهم الوطنية تجاه سكان المنطقة الحدودية تاركين للغير التحكم بقرار الوطن وبمصير ومستقبل المنطقة التي هجرتها حكومات لبنان المتتالية وتخلت عن أهلها منذ ٢٢ سنة.

إن فخامة العماد الذي تعود على إتحافنا بتصريحاته "المسورنة" لم يكتف باتهام طلابنا وقياداتنا الوطنية بالتعامل مع إسرائيل وتخوين كل من يطالب بانسحاب الجيش السوري وتكرار "لازمته اليومية" مبعجلاً بأفضال وتضحيات الشقيقة، بل وصل به الأمر لحد التخلي عن سكان المنطقة الحدودية ودفعهم للهجرة. فقد أعلن فخامته في ١٢ أيار بأنه لن يصدر أي عفو عن أفراد جيش لبنان الجنوبي البالغ تعدادهم ٢٥٠٠ رجل، وخيرهم هو وأهل حكمه والمنظمات العاملة في الجنوب بين الهجرة والسجن والموت متناسياً أنه أقسم على حماية لبنان ودستوره وكرامة أهله يوم تربع سعيداً على كرسي الرئاسة. والجدير بالذكر، أن ما يزيد عن ٣٠٠٠ جنوبي يعملون في إسرائيل و ٥٠٠ آخرين موظفون في الإدارة المحلية، ودولة التبعية "من غير شر" أصدرت حتى يومنا هذا ١٧ ألف مذكرة توقيف بحق جنوبيين من سكان المنطقة الحدودية. ببساطة متناهية إن فخامته يسعى لتهجير ما يقارب الـ ٨٠ ألفاً من الجنوبيين كون هؤلاء لا يمكن أن يسلموا أنفسهم لقضاء مسيس يتحكم بقراراته الغريب، وهم لم ينسوا بعد كيف عومل إخوانهم من سكان جزين وكيف تم التشفي منهم والتنكيل بهم بعد النكوث بعشرات الوعود الرسمية والدينية. وحده القضاء اللبناني المجرد العادل وبطل دولة لبنانية حرة مستقلة بعد خروج جيشي الاحتلال السوري والإسرائيلي مخول تقرير أمر من هو خائن أو متعامل، شرط أن يحاكم جميع من حمل السلاح وخالف القوانين منذ سنة ١٩٧٥. إن أفراد جيش لبنان الجنوبي وعلى لسان قائدهم اللواء أنطوان لحد أبدوا استعداداً تاماً للمثول أمام القضاء اللبناني يوم يتحرر البلد ويصبح بالإمكان قيام محاكمات عادلة. نشير هنا إلى إنه لو اعتمدت نفس المعايير التي استندت إليها أحكام التشفي الجائرة التي أصدرها القضاء اللبناني العسكري بحق المئات من أبناء المنطقة الحدودية منذ سنة ١٩٩٠ بتهمة التعامل مع إسرائيل، على حكام لبنان الحاليين وطاقم السياسيين وحكام الشقيقة لما بقي واحداً منهم خارج السجن من كبيرهم إلى صغيرهم، وهذه حقيقة لا يجهلها أي لبناني وإن كان البعض يتصرف كالنعامة.

إن أفراد جيش لبنان الجنوبي، كما سكان المنطقة الحدودية كافة ليسوا بخونة طبقاً لأي قانون وتحديدًا للقانون الدولي الذي يتناول أوضاع الحروب والبلاد الواقعة تحت الاحتلال، وهم إن لم يكونوا أبطالاً لأنهم صمدوا وتشبثوا بحقهم وبأرضهم وبهويتهم ورفضوا الهرب، فإنهم بالتأكيد ضحايا النظام والسياسيين ورجال الدين والدول العربية كافة، ويكفيهم فخراً أن جيشهم تنظيم غير طائفي يضم في صفوفه المسيحي والشيعي والسني والدرزي الذين جمعهم المصيبة، مصيبة تخلي الجميع عنهم وتحديدًا الذين يطالبون اليوم بتجريمهم وتعليقهم على المشانق. المطلوب من الجميع وقفة مع الذات والرجوع إلى تاريخ حروب الآخرين على أرضنا ومعرفة الظروف القاهرة والمأساوية التي فرضت على الرائد سعد حداد وعلى ضباطه وجنوده اللبنانيين الشرفاء المتمركزين في الجنوب في حينه طلب المعونة من إسرائيل. إنها جريمة بحق الإنسانية والعدل أن يتعمى البعض عن الحقائق ويكفي بإصدار الأحكام اعتباطاً ويضع سكان المنطقة الحدودية وجيشها بين خيارات أحلاها علقم.

إن الهستيرية المسماة وطنية والتي من أعراضها المرضية تصنيف الناس بين وطنيين وخونة وعروبيين ومتعاملين وغيرها من المسميات العكازية التي هي نتاج هيمنة الفكر الواحد والرأي الواحد المستورد من الشام ضمن المؤامرة الهادفة لإلغاء وتهميش كل ما هو لبناني. فطبقاً لهذا الاستبداد الفكري "كل لبناني ليس مع سوريا هو مع إسرائيل" علماً أن الأغلبية الساحقة من اللبنانيين ليسوا لا مع إسرائيل ولا مع سوريا، بل مع لبنان و فقط مع لبنان، وسكان المنطقة الحدودية هم مع لبنان والذين أوصلوهم للحال التي هم فيها حالياً يتربعون سعداء على كراسي الحكم في بيروت ودمشق وهؤلاء يجب محاكمتهم.

إن الكثير من أهلنا اصبحوا من ضحايا هيمنة الفكر الواحد المفروض لدرجة أن الكثير منهم فقد القدرة على رؤية الأشياء بغير منظار القوى المهيمنة. من أهم الهرطقات التي يحاول المحتل فرضها عن طريق معتمديه في بيروت: مخاطبته اللبنانيين بفوقية ومن منطلق الغالب والمغلوب وتصنيفهم إلى فريقين، فمن ليس راعياً للاستعمار السوري فهو مع إسرائيل، غض الطرف عن مئات المعتقلين اعتباطاً في السجون السورية والتركيز فقط على المعتقلين في سجن الخيام والسجون الإسرائيلية، تصوير الذين يعتزون بلبنان التاريخ والحضارة الهوية والفرادة وكأنهم يكفرون ومن ماضي قد ولى دون رجعة، تخويف اللبنانيين من أخطار انسحاب جيش الاحتلال السوري وتخوين كل من يتجرأ ويطالب بتطبيق القرار الدولي ٥٢٠. نربأ بأهلنا وخصوصاً في بلاد الانتشار عدم الوقوع في شباك المتأمرين على وطنهم وهويتهم وتاريخهم ونطلب منهم الشهادة للحق، حقهم في حياة كريمة في لبنان سيد حر مستقل خالٍ من الجيوش الغربية وإفرازاتها، وفي ظل حكم وطني يختارونه هم وليس الغرباء. عشم وعاش لبنان الهوية والتاريخ.